

مركزية الصوت- دريدا يقرأ كلود ليفي شراوس-  
Centralization of Sound-Derrida reads Claude Levi Strauss

الباحثة: سعيدي خديجة

جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

البريد الإلكتروني: khadidjamouad@gmail.com

تاريخ النشر: 2021-01-29	تاريخ القبول: 2021-01-09	تاريخ التحكيم: 2020-12-30	تاريخ الإرسال: 2020-09-25
-------------------------	--------------------------	---------------------------	---------------------------

ملخص البحث

إننا وفي حاجة ملحة حسب دريدا لإعادة قراءة فكر كلود ليفي شتراوس، وقراءتنا له يجب أن تنطلق من تلك الصفحات القليلة التي كتبها عن موضوع (الكتابة)، فبرغم من قلتها إلا أنها بالغة الأهمية، فهي تعلن في عمومها مفارقة لغوية، للغة تمسك بها الغرب وساهمت في تشكيله وتعزفه على نفسه، إنَّ بنيوية ليفي شتراوس هي اتجاه صوتي يجب عدم إغفاله، يشير إلى تعصب عرقي قائم على مركزية الصوت.

الكلمات المفتاحية : الأنثروبولوجيا، التعصب، العرق، الكتابة، الاختلاف.

## Abstract:

There are many reasons, according to Derrida, that make us reread the thought of Claud lévi- Strauss and most importantly thes are the few pages about writing that are of great importance, they generally declare a kind of language that the western thought a commitment that contributed to its formation and to identify itself, Claud lévi -Strauss's structure is a vocal trend that should not be ignored which refers to ethnic intolerance based on the centrality of sound

Kays words: Anthropologist, Intolerance, Ethnicity, Writing, The Differance.

ينطلق المقال من إشكال أساسي نحدده وفق النحو الآتي: كيف قرأ دريدا فكر كلود ليفي شتراوس؟ وهل تعتبر الكتابات التي قدمها ليفي شتراوس حول القبائل البدائية تمرکزًا عرقيًا؟

## المقدمة:

جاك دريدا Jacques Derrida فيلسوف فرنسي ولد بالجزائر، 1930 في حي البيار، تعلم بمدرسة بن عكنون، وفي التاسع عشر من عمره ذهب لفرنسا من أجل الدراسة، التحق دريدا بدار المعلمين العليا سنة 1950 في باريس، قبل أن يصبح مساعد للتدريس في جامعة هارفارد الأمريكية، عين عام 1965 أستاذًا بدار المعلمين العليا حيث شغل منصب مدير دراسات، وبعدها

مارس دريدا نشاطه التعليمي لفترة طويلة بين باريس وعدد من أبرز الجامعات الأمريكية منها جامعة (بيل وجون هوبكنز)، أنشأ دريدا معهداً للفلسفة وهو معهد دولي وكان ذلك عام 1983، كانت أول أعماله مقدمة نقدية طويلة وترجمة لكتاب هوسرل أصل الهندسة ثم قراءة نقدية لنظرية المعنى عند هوسرل في كتابه الصوت والظاهرة ثم ظهر كتابه في علم الكتابة، ثم جاءت أعماله الأخرى مثل، الكتابة والاختلاف، صيدلية أفلطون، في علم الكتابة، هوامش الفلسفة. المهماز، وأعمال أخرى متعددة ومختلفة<sup>1</sup>.

### ماذا يُقصد بالتفكيكية؟

إنّ البحث عن هذا المفهوم يحيلنا قبل كل شيء إلى تعريف البنيوية باعتبارها أرض كلود ليفي شتراوس والمدرسة الأساسية في فكر دريدا، ماذا نقصد بالبنيوية؟

في الاشتقاق اللغوي يشتق مصطلح بنيوية من الفعل اللاتيني structure ويحيل إلى البناء يقول: رولان بارث في مقاله الذي يحمل عنوان (النشاط البنائي) l'activité structural (ما البنائية؟ إنها ليست مدرسة ولا حتى حركة- أو على الأقل لم تصبح كذلك حتى الآن (...))<sup>2</sup>

فالبنائية يجب أن يقتصر استخدامها للإشارة إلى حركة تعبر عن المنهج البنيوي، فالأسباب التي أدت إلى ظهور المنهج البنيوي ترجع إلى بيان عيب في المنهج الفينومينولوجي، كما أنها جاءت كرد فعل على المنهج الوجودي.

لقد انصب جهد البنيويين على بيان كيف (أنّ العلاقات التفاضلية أو التمايزية للعناصر في النظام سواء أكان هذا الأخير سلسلة من النصوص، أو نظام قرابة، أو أجواء التصوير الفوتوغرافي للأزياء - تنتج معنى أو معاني وبالتالي يجب أن تقرأ وتخضع للتأويل بعبارة أخرى يجري النظر إلى دراسة الحياة الاجتماعية الثقافية على كونها تستدعي حل شيفرة العلامات من خلال التركيز على قيمتها التفاضلية أو التمايزية، وليس على قيمتها الجوهرية المزعومة (...)) وكذلك توجيه الانتباه إلى مستوى المعنى الذي « يقرأ الأعراض »<sup>3</sup>.

إلا أنها حسب دريدا (مثلت غزوا انسحبت ذات يوماً تاركا أعماله وعلاماته على شواطئ حضارتنا (...))<sup>4</sup>. فهذا الاتجاه سلطة هيمنت على اللغة وعلى المجتمع، حيث أصبحت (أقرب إلى نزعة "متعالية" تلغي التاريخ وتغترب بالإنسان في سجون "النسق" و"البنية" و"النظام"، وكان من الطبيعي - والأمر كذلك- أن تصبح هذه الأخيرة -البنيوية- مجالاً لهجوم الطلاب عليها في تمردهم الذي هزّ أركان الحياة الفرنسية كلها، خلال أحداث مايو-يونيو 1967 مما جعل البنيويين أنفسهم وبعد هذه الأحداث يعيدون النظر في مواقفهم، تحت وطأة متغيرات مايو 1967)<sup>5</sup>.

التفكيك:

# التفكيك والأنثروبولوجيا - دريدا قارئاً لكلود ليفي شتراوس-

الباحثة: سعيدي خديجة جامعة تلمسان (الجزائر)

لقد ظهر مصطلح التفكيك في أمريكا أثناء انعقاد المؤتمر حول اللغات النقدية وعلم الإنسان في جامعة جون هو بكنز في أكتوبر سنة 1966 ومن بين المشاركين في المؤتمر (لوسيان جولدمان وتزفان تودوروف ورولان بارث وجاك لاكان وجاك دريدا) وغيرهم وبنظرة سريعة على سجل الجلسات تدل على أن هذه الندوة لم تكن مناقشة في البنيوية بل يمكن القول أن معظم الأفكار المطروحة كانت تحمل تبشيراً بما بعد البنيوية قدم جاك دريدا أثناء مداخلة محاضرة تحمل عنوان البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية وهي مداخلة ضمت قواعد نظرية التفكيك، وكانت المداخلة الأكثر ثراءً والأكثر تميزاً داخل المؤتمر.

يعمل التفكيك عن طريق إخضاع النص إلى المحاكمة، فهو يفكك النقد ذاته، كما لا يقلل من قيمة النقد وإنما يفكك أيضاً النقد الخاطئ للنصوص ويكشف عن المعاني المترسبة بداخله ويجعلها موضع تساؤل. فهو يعتمد على دراسة النص وكيفية إنتاجها للمعنى والتركيز على ما يحمله النص من تناقضات أي هو عبارة عن نوع من اللعب يتم داخل النص، يقول دريدا: (إن التفكيك حركة بنائية وضد بنائية في الآن نفسه فنحن نفكك بناء أو حادث مصطنعاً لنبرز بنيانه وهيكله ولكن نفك في الآن معاً البنية التي لا تفسر شيئاً فهي ليست مركزاً ولا مبدأ ولا قوة فالتفكيك هو طريقة حصر أو تحليل يذهب أبعد من القرار النقدي (...)).<sup>6</sup>

إن الخطاب في التفكيك يخضع لإنتاج دائم ومستمر ولا ينتهي عند موت كاتبه، لهذا نجد التفكيك يركز على الكتابة بدلاً من الكلام ويعطيها أسبقية على اللفظ لأن الكتابة تحوي في داخلها نوع من البقاء لكاتب النص الأصلي وهذا ما يعجز الكلام عن توفيره، والكتابة عند دريدا تحمل معنى غير المعنى الشائع الذي نفهمه تلك الكتابة التي كانت دائماً وأبداً تخضع لهيمنة اللفظ، وهذا ما يشكل حسب دريدا جدلية الحضور والغياب فالتفكيك يؤسس لسؤال الاختلاف وهو لا يراعي حرمة أي شيء، كما لا يراعي ما يعتقده الإنسان.

ينطلق التفكيك مما يلي: (ليست الكتابة وحدة منسجمة، أو عقلاً فعالاً أو فيضاً خصباً ومنتجاً للمعاني والدلالات المتعالية، ولكن الكاتب هو في اللحظة ذاتها "كاتب وقارئ" فهو يكتب إنما يقرأ كتاباته الخاصة فليس هناك شخص واحد وإنما شخصان) كاتب وقارئ، في المؤلف نفسه<sup>7</sup> فهناك ثلاثة أشخاص في الفاعل نفسه (تشابك وظائف هؤلاء الأشخاص في اللحظة نفسها (تلاوة - كتابة - قراءة)، مثلما يتشابك المعنى والتعبير والإشارة)<sup>8</sup>

## الهدف من قراءة دريدا للنصوص الغربية:

لقد قامت استراتيجية التفكيك الدريدي على زحزحة تلك الأطر الأبستمولوجيا التي وضعتها الميتافيزيقا والتي شهدت ترسباً داخل الفكر الغربي منذ نشأته إلى غاية الفينومينولوجيا الهوسرلية، وكان لاهتمام دريدا بالنصوص الغربية (الفلسفية والسياسية والتحليلية) يفصح عن أهمية كل من الفلسفة والسياسة والتحليل النفسي في تاريخ البشرية، وفي عالمنا المعاصر بصورة أكثر (...). حاورهم دريدا وهو يقرأ لهم، قرأ لهم وهو يدخل في حوار متعدد الجوانب والمستويات، حوار منزوع البداية والنهاية (...). بين الأدبي والفلسفي وبين التحليل النفسي والتفكيكي<sup>9</sup>، إن الهدف من وراء هذه القراءات هو العمل على بناء نصوص جديدة قائمة على آثار تلك النصوص التي تم فكك جزئياً، فهو يسعى لخلق كتابة جديدة، تكون وسيلة لقراءة الفكر، يقول دريدا: (أفلا نلاحظ أنهم جميعاً فعلوا ما فعلوا على أساس فكرة الاختلاف)<sup>10</sup>.

# التفكيك والأنثروبولوجيا - دريدا قارئاً لكلود ليفي شتراوس-

الباحثة: سعيدي خديجة جامعة تلمسان (الجزائر)

ولهذا فالتفكيك يقوم بعملية فك الالغاز والنصوص، ومقارنتها بنصوص مشابهة لها أو مختلفة عنها وهي قراءة تتم على مستوى الهامش وبين السطور، فتفكيك هذه الأبنية الفلسفية تفتح لنا أفق التفكير فيما هو جينيولوجي، من خلال تحليل المفاهيم، ومساءلتها والبحث عن الخلفيات الميتافيزيقية التي تقف وراءها، (فالفلسفة من أفلطون إلى هيجل هي فلسفة حضور ونعني بذلك أن الوعي لا يعترف إلا بما يحضر في -الوعي- لديه فيتخذ شكل الدالة والمعنى والقانون والهوية فيتطابق هكذا مع مقولاته (...)) بما يعني أن فكر الإنسان هو مركز الكون غير أن الانقلاب الذي حصل في صف الفلسفة منذ هيدغر ومنه انطلق دريدا يقول بفلسفة الغياب (...). الفلسفة التي تقول بالآخر المغاير الذي لا يفتأ ينأ عبر صورة الاختلاف<sup>11</sup>.

فتاريخ هذه الكتابات هو يعكس صورة للميتافيزيقا الغربية التي هي تاريخ تحديد الوجود بوصفه حضوراً، وإذا كانت مغامرتها تختلط بمغامرة مركزية اللوغوس. وهي اختزال لأي علم يخص الحضور، يقول دريدا عنها: (إن تاريخ الميتافيزيقا مثل تاريخ الغرب هو تاريخ هذه الاستعارات والكنائيات، ونسجها، هو تعين الوجود بوصفه حضوراً بكل ما في هذه المفردة من معنى، فمن الممكن توضيح أن كل الأسماء ترجع إلى أسس ومبادئ وإلى مركز يومي دائماً إلى إثبات الحضور، الجوهر، الأصل، الغاية، الطاقة، الكائنية، التجلي، التعالي الوعي، أو الضمير الإنسان)<sup>12</sup>.

فالميتافيزيقا عنده في نظره مجموع (إيديولوجيا المجموعة العرقية الغربية)<sup>13</sup> والتمركز العرقي لم يكن ممكناً إلا بفضل تركزات أخرى دعمته ومكنت الذات الغربية من الاستقرار في تصورها لذاتها تركز عقلائي تركز (لوغوس) أو خطاب أو عقل حاضر في قلب ذاته لا ينفعل إلا في ذاته، ولا يحتاج إلى سند أو ضمان آتية من مرجع براني عليه. فالميتافيزيقا لم تحقق الحضور إلا كوهم.

## كيف قرأ دريدا كلود ليفي شتراوس؟

كلود ليفي شتراوس: 1908-2009: يعد من أشهر البنيويين، وهذا رجع إلى استعماله للمنهج البنيوي في جميع أبحاثه وبالأخص مجال الأنثروبولوجيا<sup>14</sup>، فكان لطريقة نشأته بالغ الأثر على أعماله وكتابات، حيث كان عاشقاً للموسيقى والطبيعة، فهو ابن فنان وحمام، 1927-1932، كان شتراوس طالباً في جامعة باريس، وحاز منها على إجازة في القانون والفلسفة، رحل إلى البرازيل عام 1934 حيث شغل منصب أستاذ في علم الاجتماع، ليعود بعدها إلى فرنسا، ليسافر إلى أمريكا سنة 1943، حيث أتاح له الفرصة لكتابة أطروحة الدكتوراه (البنى الأولية للقرابة)، 1946-1947 عمل بالملحق الثقافي بنيويورك، في عام 1950 أصبح مدير الدراسات في المعهد التطبيقي للدراسات العليا في جامعة باريس، 1964، نال وسام جوقة الشرف، من أعماله: الحياة العائلية والاجتماعية لهودو النامبيكوارا، العرق والتاريخ، مداريات حزينة.

## دريدا/كلود ليفي شتراوس -النامبيكوارا وعنف الكتابة:-

هناك الكثير من الأسباب حسب دريدا تجعلنا نعيد قراءة فكر ليفي شتراوس ومن أهمها: تلك الصفحات القليلة التي كتبها عن الكتابة، إلا إنها مهمة، فتلك الطريقة الجميلة، التي صيغت لتثير الإعجاب، وتعلن مفارقة بالنسبة لتلك اللغة التي يتمسك بها الغرب وهو استبعاد ساهم في تشكل الغرب من خلاله وتعزف على نفسه منذ (محاورة فيدروس) إلى غاية دروس في اللسانيات

العامّة (لدى سوسير)، وهناك سبب آخر يدعو لقراءة فكره (إذا كان لا يمكننا كما أثبتنا من قبل، أن نفكر في الكتابة دون أن نكف عن الثقة بين الطبيعة وما يغيرها (سلسلة أغايرها: الفن، التكنيك، القانون، المؤسسة، المجتمع، انعدام الدوافع، الاعتبار) وبكل منظومة المفاهيم المترتبة عليه، ودون أن نكف عن رؤيته نظاماً بديهيًا، فعلياً أن نتابع باهتمام كبير المسيرة القلقة لعالم كبير يؤكد أحياناً، في تلك المرحلة من فكره، هذا الاختلاف وأحياناً أخرى ينظر بحسبانه مغلياً)<sup>15</sup> إن بنيوية ليفي شتر اوس هي اتجاه صوتي، اتجاه يجب عدم إغفاله، فالأنثروبولوجيا البنيوية في كتاباته يمارس عليها علم الصوت، ففكرته حول الكتابة تشير إلى التعصب العرقي القائم على مركزية الصوت.

حسب دريدا هناك وهم سائد في العقل الغربي وهو وهم ميتافيزيقي أصلي، وهو أن الفكر يمكن أن يتوصل إلى الفكرة بطرق أخرى غير اللغة. يقول دريدا: (أن الميتافيزيقا الغربية، أعطت امتيازاً خاصاً للكلمة المنطوقة بسبب حضور المتكلم والمستمع وقت صدور القول، فليس ثمّة فاصل زمني أو مكاني بينهما فالتكلم يستمع في الوقت الذي يتكلم فيه، وهو ما يفعله المستمع في الوقت ذاته)<sup>16</sup>. فالكتابة احتلت في الغرب مكانة هامشية، بالمقارنة مع الكلام الذي يحتل مكانة السيادة.

### من هم النميكيوار؟

يتكون مجتمع النميكيوار من (من ستة أسر هي: أسرة الرئيس التي تتضمن زوجاته الثلاث وابنته المراهقة وخمس آخر تتكون كل منها من زوجين وطفل أو طفلين وترتبط بينهم جميعاً صلة قرابة إذ يفضل الناميكيوار الزواج من ابنة الأخ أو بنت الأخت، أو من قريبة (...)) أي ابنة العمة أو بنت الخال، فالأقارب الذين يتمتعون بهذه الصفة يسمون منذ ولادتهم بكلمة تعني زوج أو زوجة، أما الأقارب الآخرون (المتحدرون من أخوين أو أختين (...)) فيعامل بعضهم بعضاً كأخ وأخت ولا يستعطون الزواج بينهم)<sup>17</sup> تسكن هذه القبائل في أكواخ مؤقتة من الأغصان أو سعف النخيل، لأن السنة تنقسم عندهم إلى قسمين، ففي شهر المطر يقيمون بالقرب من مرتفع صغير يشرف على نهر، ويعيشون على أكل ما يزرعون من: الذرة والمانيق والتبغ والفصولياء، والبول السوداني، والقطن والقرع. وعندما يحل الجفاف يقومون بترك المنطقة والهجرة كل مجموعة إلى مكان ما بحثاً عن الطرائد من (يرقات، وقوارض وجراد، وفاكهة وعسل بري) وينصبون خيامهم لمدة يوم أو يومين أو أسبوع. يقول شتر اوس واصفاً هذه القبيلة: (تبدوا الفاقة التي تعيش فيها الناميكيوار صعبة التصديق فلا يرتدي أي الجنسين أية ملابس، كما يميزهم فقر ثقافتهم عن القبائل المجاورة، إذ يتصفون بقصر القامة، 1:60 للرجال، و1.50 للنساء (...)) انتماءهم جميعاً إلى زمرة الدم O، وإذا لم يكن هذا أصلاً هندياً محضاً فهو، يعني انعزالاً ديموغرافياً امتد إلى قرون)<sup>18</sup>، بالإضافة إلى كل هذا فهم يعانون من فقر ثقافي كبير.

### أولاً طريق البيكادا:

قبائل نامبيكورا: الذين ينامون على الأرض القبائل الأكثر بدائية هذه القبيلة يقطعها، طريق البيكادا يقول كلود ليفي (يجتاز هذه القبيلة خط برقي، ويشكل الدرب الذي يصاحبه والذي مهد على عجل -البيكادا- المعلم الوحيد، خلال سبعمائة كيلومتر (...)) فالجاهل تبدأ على جانبي تخطيطه يمكن أن نميزه عن غابة الأدغال المحيطة به، صحيح أن هناك السلك، لكنه أضحى بلا جدوى حال الانتهاء من وضعه، متدلياً من أعمدة لا تستبدل إذا إهترأت، فريسة لأرض الهنود الذين يحسبون الطنين المميز لخط

# التفكيك والأنثروبولوجيا - دريدا قارئاً لكلود ليفي شتراوس-

الباحثة: سعيدي خديجة جامعة تلمسان (الجزائر)

البرق طنين خلية نخل ناشطة، وقد تجدد الخط ممدداً على الأرض أحياناً، أو معلقاً بعدم اكتراث على شجيرات قريبة، لكن ما يثير الدهشة هو أن الخط يزيد من الوحشة التي تزيد على المكان، أكثر مما يخفف منها (...). في هذه الأعراس اللاهائية يبدو محدود البيكادا، وأطياف الأعمدة المعوجة، والأقواس المقلوبة للسلك الذي يصل بينها كأشياء في غير محلها، تعوم في العزلة<sup>19</sup> هذه طريق بدائي من الصعب تمييز مجراه عن الدغل الموجود على حوافه علينا أن نتأمل picada الطريق يقرأه دريدا فيقول: (البيكادا إمكانية الطريق والاختلاف بوصفها كتابة)<sup>20</sup>، وتفكيك الطريق يحلينا إلى مجموعة من المفاهيم (تاريخ الكتابة، تاريخ الطرق القطع الطريق، الطريق المقطوع). إن الطريق المقطوع والغابة الكثيفة (الطبيعة والبرية) يقدم نفسه على أنه اختلاف ويأخذ شكلاً عنيماً. فالتمهيد للطريق هو تمهيد للكتابة.

## ثانياً اسم العلم:

(إن استعمال اسم العلم، بداية ممنوع لديهم، ولتعين الأشخاص ينبغي إتباع عادة عمال الخط، أي الاتفاق مع الأهالي أسماء مستعارة يشار إليهم بها قد تكون برتغالية كجوليو (...)) أو ألقاباً كأرنب أو سكر<sup>21</sup>.

يروي شتراوس بينما كان يلعب في يوم من الأيام بنات القبيلة حدث وأن أحد البنات تشاجرت مع صديقة لها فلجأت إليه وهمست في أذنه بكلام غير مفهوم وبعد تكرار الفتاة للكلام استنتجت غريمتها مكيدتها جاءت غاضبة يقول شتراوس لتبوح بسر يبدو من تقاسيم وجهها بأنه عظيم، ليكتشف شتراوس في الأخير أن الأولى باحت باسم الثانية ثأراً منها لتأتي الثانية وتبوح باسم الأولى أيضاً انتقاماً منها، يقول شتراوس (واعتباراً من هذه اللحظة، كان سهلاً تأليب الأطفال بعضهم على بعض، والحصول على أسمائهم وحدث بيننا بعد هذا الشيء من التواطؤ جعلهم يعطوني دون صعوبة أسماء الكبار)<sup>22</sup>، إن شتراوس يصف الطرق التي توصل بها إلى أسماء رجال القبيلة، بأنها طريقة غير نبيلة، (لأنها عرّضتهم للتوبيخ من قبل كبار القبيلة من هذا الفاصل ينطلق شتراوس في نوع من الشعور بالعار والتدن معمم، إلى وصف الباحث الغربي بين (البدايين) باعتباره المتطفل الذي لا يحث فحسب على اختراق المحظورات، بل يمارس إغواء الصغار وإبعادهم عن براءتهم الأصلية)<sup>23</sup> يبدو الأمر وكأنه واقعة عادية بالنسبة للباحث الإثنولوجي والأنثروبولوجي ويضعه كلود ليفي شتراوس شرط البحث الأنثروبولوجي (فإن ينتقد كاتب حضارته شيء مفهوم ومستحب مادام الوازع النقدي يقيم في أصل الكتابة لكن أن يتقدم ويقدم ممارسي مهنته باعتباره خاطئين بالأصل متطفلين ومفسدين وإن يواصل عمله مع ذلك فهذا شيء آخر يستحق على الأقل أكثر من علامة تعجب، إن هذا (التواضع الخاص بالإنسان الذي يعرفه كونه (غير مقبول) وهذا الإحساس العارم بالذنب، هو ما تأسست عليه الإثنولوجيا أو علم الأعراق في نظر دريدا)<sup>24</sup>.

إن هذه المجتمعات هي مجتمعات دون كتابة، تتكون من لهجات ويختلف نظام هذه اللهجة باختلاف الموقف يقول شتراوس: (تظم لغة النامبيكورا، من جهة ثانية عدت لهجات مجهولة جميعها، تتمايز بتغير أو آخر الأسماء بحسب مواقعها وبعض الأشكال والأفعال (...)) كما تتضمن اللغة كلمات سحرية يكفي أن تضاف إلى الأسماء لتحوّلها إلى أفعال تكمل عند اللزوم بأداة نفي<sup>25</sup>، وهذا حسب دريدا هو في حد ذاته ظاهرة لغوية. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه (واقعة تتعصى على التفسير) وهي واقعة تفلت منا



أسبابها الواقعية الملموسة هذه الواقعة يمكن أن نعتبرها شرطاً للكتابة (بوصفها محو لاسم العلم، تكون هناك كتابة عندما يكون اسم العلم مشطوباً في نظام، ويكون هناك ذات عندما يتم طمس ما هو معرّف منذ ظهوره ومنذ اللحظات الأولى لفجر اللغة...) إن هذا الحضر هو بالضرورة فرعي بالنسبة إلى الشطب المكون لاسم العلم، فيما سميناه الكتابة الأصلية أي في لعبة الاختلاف<sup>26</sup>. فأسماء العلم تعد أسماء علم لأن انتجها هو نوع من الإلغاء لها، وفعل الشطب وفرض الحرف هو موجود أصلاً، وهذا يجعلنا حسب دريدا نعي أن كل مجتمع قادر على الإنتاج قادر على طمس اسم العلم الخاصة به، وبممارسة الكتابة بشكل عام فتعبير مجتمع دون كتابة هو عبارة عن أضغاث أحلام.

وبهذا يحيل شتراوس إلى عادة في قبيلة نامبيكوارا وتتمثل في وضع هذه القبيلة قيود صارمة حول اسم العلم ويعطينا مثال عن إفشاء الأطفال أسماء بعضهم بعضاً كنوع من الثأر المتبادل وكأنه نوع من الاعتداء على الثقافة وهنا إحالة لي الاعتداء على الثقافة بتعلم الكتابة، وكأن شتراوس وهو يجعل الأطفال يقومون بإفشاء أسماء بعضهم البعض يقوم بنوع من الغواية والتطاول على براءتهم بالمقابل يشعر هو بالخزي لأنه باحث غربي بين بدائيين، وفي هذا حسب دريدا أصولية. وهذه الشعوب التي تنعت بالبدائية كمقابل للشعوب المتحضرة هي ليست أقل ذكاء منها فهي أيضاً تتمتع فكر لا يقل تعقيداً عن فكرها

في الواقعة الخارقة للعادة يتحول (البحث في الاختلاف إلى حركة (لإلغائه) عبر بحث رومانسي عن الوحدة والبراءة الأصليتين وكيف تتحول النزعة المحاربة للتمركز حول العرق ومن غير علم صاحبها إلى نزعة تركزية عرقية)<sup>27</sup>

يذكر دريدا في أحد المحاضرات التي ألقاها بجنيف حول ذكرى جون جاك روسو يقول لقد كشف كتاب روسو الاعترافات أن (إن) الانثولوجي فيما يكتبه عن تجربته لا يقدم لنا سوى اعترافات وهو يقوم بهذا باسمه أولاً ما دام هذا هو محرك رسالته وعمله، ومن ثم باسم مجتمعه الذي يمثل هو مبعوثه والذي عبره يجتاز مجتمعات أخرى وبالتحديد الأضعف من بينها الأكثر تواضعاً، ولكن ليتحقق إلى أية درجة هو غير مقبول إن الباحث المكتشف للعالم الغريب عنه يسود نوع من الهوس نكاد ننتهه بالمريب فكيف يبحث عن الجوانب والنقاط التي تؤكد (لا مقبوليته) هو نفسه (...). إن الباحث الأركولوجي حسب دريدا يتحول إلى لاهوتي أو اسكاتالوجيا<sup>28</sup> وهو بهذا يمارس أصوليته المبنية على غياب الاختلاف بين الحضارات وبقائه في المركز.

### تعلم الكتابة مدخل إلى السلطة:

يقول دريدا: (إن شتراوس يصف في مدرات حزينة، وبانفعال لن ينكره عليه أستاذه روسو، هذا (الحادث عجيب أو الواقعة الخارقة) حيث ظل بعض حكماء نامبيكوارا (Nambikwara) مخلصين لحالة الطبيعة وذلك بمعارضتهم وبشجاعة لرؤسائهم الذين أرادوا إدخال الفساد إلى قراهم والمتمثل في الحضارة والكتابة)<sup>29</sup> أي معنى يحمله مجابهة حكماء القرية للكتابة؟ لأنهم كانوا يفهمون حسب ليفي شتراوس (بان الكتابة والخداع كان يتغلغلان وسطهم وفي نفس الوقت)<sup>30</sup>.

لقد وصف كلود ليفي شتراوس: (رئيس القبيلة بكونه حاد الذكاء شديد الوعي بمسؤوليته، نشطاً، مبادراً وكبير البراعة (...). وكان موقفه من الكتابة كاشفاً إلى أبعد الحدود، فلقد أدرك مباشرة دورها بوصفها علامة، وعرف ما تتيحه من تفوق اجتماعي، ففي

# التفكيك والأنثروبولوجيا - دريدا قارئاً لكلود ليفي شتراوس-

الباحثة: سعيدي خديجة جامعة تلمسان (الجزائر)

الزيارة التي يقوم بها شتراوس للنامبيكوارا، يتبادلون والقبيلة الهندية الحمراء وغريبون آخرون سلعا حديثة مقابل منتجات محلية، (...) فالقارئ يخمن أن النامبيكوارا لا يعرفون الكتابة - يقول شتراوس - ولكنهم ما كانوا ليعرفوا الرسم أيضا، خلال بعض التنقيطات أو الخطوط المتعرجة على الأواني، (التي يصنعونها من قشور بعض الفواكه)<sup>31</sup> يقول وزعت عليهم أقلاما وأوراقا ولكنهم لم يعرفوا ما يفعلوا في البداية ولكنهم بعد أيام بدأوا في رسم خطوط أفقية متموجة على الأوراق كنوع من التقليد له في طريقته في الكتابة إلا أن الأمر لم ينطبق على رئيس القبيلة فهو الوحيد الذي أدرك وظيفة الكتابة بحيث طلب منه حزمة من الأوراق إلا أنه لم يكن يكتب ما كان يطلبه من شتراوس وإنما يقوم برسم خطوط متعرجة ويجعله يقوم بقراءتها على أنها إجابته (كان هو نفسه نصف مخدوع بتمثيليته، كلما أكمل بيده خطأ، راح يتفحصه بقلق، فكأنه ينتظر أن تثبت منها الدلالة انبثاقا، ثم يرسم على محياه زوال الوهم نفسه (...))، وكان متفقا عليه بيننا ضمينا أن (لخريشته) معنى على أنا أن تصنع فك رموزه، ثم يأتي تعقيبه الكلامي على الفور فيعني من مطالبته بالتوضيحات الضرورية (...). إن لهذه الحادثة دلالتان: الأولى أن تعلم الكتابة في هذه القبيلة لم يكن بالأمر الصعب، أما الثانية ففهم رئيس القبيلة لدور الكتابة فهو يعني أن غرض الكتابة سياسي أكثر منه ثقافي وإنما شكل من أشكال ممارسة السلطة)<sup>32</sup> فاكشاف رؤوس القبيلة لنية قائدهم جعلتهم يقومون بمقاطعته لقد اكتشفوا أن الكتابة والخداع يتسللان لقبيلتهم من خلال تصرف رئيس القبيلة.

فشتراوس يصف عملية الانتقال التي خضعت لها هذه القبيلة - نامبيكوارا - من هنود البرازيل إلى الحضارة عن طريق الكتابة انتقال غلب عليه مشاعر الحزن والإحساس بالذنب المصحوب بشوق للطبيعة الأولى المرتبطة بالكلام. (كيف لكلود ليفي شتراوس حسب دريدا أن يصنف التنقيطات والحروف المتموجة التي كان النامبيكوارا يرمونها على الأواني والتي يقول شتراوس نفسه انه يسمونها ايكاريوكيد جوتو أي (رسم خطوط) كما لو أنها ليست كتابة، كما لو كانت الكتابة في واقعها شيئا آخر؟ ثم ما الذي يميز لشتراوس أن ينطلق من وصف حادثة معزولة وعابرة (بالواقعة الخارقة للعادة) ليطلق حكما شاملا على نشأة الكتابة ووظيفتها). إن الخطوط التي رسمها أفراد القبيلة هي مجرد محاكاة لخط قائم من قبل، وهو خطه الذي رسمه أمامهم.

ونحن نقرا ليفي شتراوس هناك عبارة نصادفها في نص (اللغة والقراءة) يجب أن نقف عليها وهو نص يجب علينا مساءلته سطرًا سطرًا يقول: (إن ميلاد علم الأصوات قد قلب هذا الموقف إذ لم يجد فقط أفاق اللغويات، ذلك أن تغييرا بهذه الضخامة ليس قصرا على مجال خاص، إن علم الأصوات لن يتوانى عن يؤدي أمام العلوم الاجتماعية نفس الدور التجديدي الذي قامت به الفيزياء النووية في مجمل العلوم الدقيقة)<sup>33</sup>. إن في هذه الفقرة نلمس نوعا من المقاربة، أو بالأحرى محاكاة بين (الوحدات الصوتية ودرجات القراءة)، وهي محاكاة يصفها شتراوس بالمدهشة. فالتعارض بين الطبيعة والثقافة لم يعد يحمل ذلك المعنى القديم بل أصبح يقدم أساسا منهجيا. إلا أن فكر شتراوس من خلال احتفاظه بالتعارضات المفاهيمية الموروثة وإغائه لها يصبح مثله مثل فكر سويسر خاضع لمنظومة من المفاهيم الغير قابلة للنقد. ويقدم دريدا عن تعارض المفاهيم أمثلة تتمثل في كتب شتراوس البنى الأولية للقراءة والفكر البري يقول: ففي الكتاب الأول توجد احترام أصالة لبنية فضائية (تحريم زواج المحارم)، وفي الكتاب الثاني احتزال مفهوم، إن كل التصنيفات التي قدمها شتراوس حول المجتمعات وحول ارتباطها بالتاريخ وعدم تاريخيتها كله يرتبط بالكتابة.



# التفكيك والأنثروبولوجيا - دريدا قارئاً لكلود ليفي شتراوس-

الباحثة: سعيدي خديجة جامعة تلمسان (الجزائر)

إن شتراوس يتناقض مع نفسه ففي الوقت الذي يرى فيه أن تعلم الكتابة هو إدخال للعنف إلا أنه وفي الوقت نفسه يجعلها مقياساً لتاريخ الشعوب يقول -كلود ليفي شتراوس: (إننا بعد أن قمنا بإزاحة جميع المعايير المقترحة للتمييز بين البربرية والحضارة، نرغب على الأقل بالتمسك بالتمييز التالي: الشعوب التي تعرف الكتابة وتلك التي لا تعرفها، وإذا تكون الأولى قادرة على مواكبة المكتسبات القديمة، وعلى التقدم أسرع فأسرع صوب هدف تخطه لنفسها، على حين تظل الأخرى، العاجزة عن الاحتفاظ بالماضي أبعد من الهامش الذي تكفى لتثبيته بذاكرة الفرد، تظل سجيناً تاريخ رجراج ينقصه الأصل دوماً، كما ينقصه الوعي الدائم بمشروع معين)<sup>34</sup> فشتراوس يجعل الكتابة شرطاً للحضارة شعب معين، وهي بالنسبة للآخرين شكلاً حاملاً للسلطة، والأمر حسب دريدا يحمل تمركزاً عرقياً، فهو يرى أن تبقى قبائل تجهل النامبيكورا الكتابة وتبقى على طبيعتها الساذجة وبراءتها، جهل يجعلها خارج الحضارة والتاريخ.

## قائمة المصادر والمراجع:

### المصادر:

- حوار مع جاك دريدا ، كريستان ديكان ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العددان 18 - 19 ، 1982 .  
جاك دريدا ، المهماز أساليب نيتشه ، تر : عزيز توما ، إبراهيم توما ، دار الحوار ، سوريا ، ط1 ، 2010 .  
جاك دريدا و بول دي مان ، استراتيجيات التفكيك ، تر: حسام نايل ، أزمنة للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1  
.. 2009

- جاك دريدا، في علم الكتابة، تر: انور مغيث - منى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008 .  
كلود ليفي شتراوس، ماديئات حزينة، تر: محمد صبح، دار كنعان، دمشق، ط1، 2003 .

### المراجع:

- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1955 .  
إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993 .  
جايتريا سيفاك - كريستوفر نوريس، صور دريدا، تر: حسام نايل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002 .  
جون ليتشه، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً ، ترجمة فائق البستاني ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت ، 2008  
. عادل عبد الله، التفكيكية ، دار الكلمة لنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2000،

# التفكيك والأنثروبولوجيا - دريدا قارئاً لكلود ليفي شتراوس-

الباحثة: سعيدي خديجة جامعة تلمسان (الجزائر)

ساره كوفمان- روجي لا بورت، مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، تر: ادريس كثير- وعز الدين الخطابي، إفريقيا

الشرق، ط4، 1994.

محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.

## المقالات:

مجلة فصول، المجلد الحادي عشر العدد الرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، شتاء 1996.

<sup>1</sup> جايتريا سيففاك- كريستوفر نوريس، صور دريدا حسام نايل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص21.

<sup>2</sup> أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1955، ينظر: مقدمة الكتاب(ه).

<sup>3</sup> جون ليتشه، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008، ص313.

<sup>4</sup> جاك دريدا، الكتاب والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار تيقال، المغرب، ط1، 2000، ص131.

<sup>5</sup> إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993، ص9-10.

<sup>6</sup> حوار مع جاك دريدا، كريستان ديكان، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان 18-19، 1982، ص254.

<sup>7</sup> محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص209.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص209.

<sup>9</sup> جاك دريدا، المهماز أساليب نيتشه، تر: عزيز توما، إبراهيم توما، دار الحوار، سوريا، ط1، 2010، ص13-17-33.

<sup>10</sup> جاك دريدا وبول دي مان، استراتيجيات التفكيك، تر: حسام نايل، أزمة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص49.

<sup>11</sup> عادل عبد الله، التفكيكية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2000، ص14.

<sup>12</sup> جايتريا سيففاك- كريستوفر نوريس، مرجع سابق، ص37.

<sup>13</sup> جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، مصدر سابق، ص26.

<sup>14</sup> **انثروبولوجيا (Antropology):** هي العلم الذي يعنى بدراسة الأعراق والأنساب البشرية، وفي الأصول التي يعود إليها الإنسان بالإضافة إلى

عاداته وتقاليده.

<sup>15</sup> جاك دريدا، في علم الكتابة، تر: انور مغيث- منى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ص122.

<sup>16</sup> - عبد الله إبراهيم- سعيد الغانمي - عواد علي، مرجع سابق، ص124.

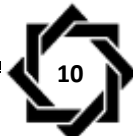
<sup>17</sup> كلود ليفي شتراوس، مادريّات حزينة، تر: محمد صبح، دار كنعان، دمشق، ط1، 2003، ص356.

<sup>18</sup> كلود ليفي شتراوس، نفس المصدر، ص353-354.

<sup>19</sup> كلود ليفي شتراوس، نفس المصدر، ص349.

<sup>20</sup> جاك دريدا، في علم الكتابة، مصدر سابق، ص228.

<sup>21</sup> كلود ليفي شتراوس، نفس المصدر، ص357.



# التفكيك والأنثروبولوجيا - دريدا قارئاً لكلود ليفي شتراوس-

الباحثة: سعيدي خديجة جامعة تلمسان (الجزائر)

- <sup>22</sup> كلود ليفي شتراوس، نفس المصدر ، ص357.
- <sup>23</sup> كاظم جهاد، مدخل إلى قراءة دريدا في الفلسفة الغربية، مجلة فصول، المجلد الحادي عشر العدد الرابع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، شتاء 1996ص202
- <sup>24</sup> المقال نفسه، ص202.
- <sup>25</sup> كلود ليفي شتراوس، المصدر السابق، ص158.
- <sup>26</sup> جاك دريدا، في علم الكتابة، ص229.
- <sup>27</sup> المقال السابق، ص204.
- <sup>28</sup> المقال نفسه، ص204.
- <sup>29</sup> ساره كوفمان - روجي لا بورت، مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، تر:ادريس كنير - وعز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق، ط4، 1994، ص19.
- <sup>30</sup> المرجع نفسه، ص19.
- <sup>31</sup> كاظم جهاد، المقال السابق، ص204.
- <sup>32</sup> المقال نفسه، ص205.
- <sup>33</sup> جاك دريدا، في علم الكتابة، ص212.
- <sup>34</sup> المقال، السابق، ص206 .

